



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

عدد خاص من دورية «عمران» للعلوم الاجتماعية:

الاستعمار الاستيطاني وصراع الفلسطينيين ضد الحركة الصهيونية

المساهمات النظرية، والإشكاليات التطبيقية، والفجوات المنهجية

ورقة مرجعية

المحرر الضيف: نديم روحانا

منذ بداية الصراع مع الحركة الصهيونية، رأى الفلسطينيون في مشروعها ما يمكن تسميته اليوم مشروعاً كولونياً استيطانياً إحلاليّاً (Settler Colonialism) على كامل الأرض الفلسطينية. ولم يتغير الوعي الفلسطيني – إن كان وعياً شعبياً أو ثقافياً أو سياسياً – حيال هذا المشروع حتى اليوم. ومع ذلك، فقد تعاملت النخب السياسية مع الصراع في السنوات التي سبقت اتفاقية أوسلو (1993) وما بعدها على أنه صراع قومي ذو أبعادٍ كولونالية-استيطانية. ونتيجةً لذلك، خفت الخطاب السياسي الذي يبرز هذا الجانب في المشروع وخفت معه الخطاب الأكاديمي الفلسطيني مع بقائه في الوعي الشعبي والثقافي.

ثم عاد موضوع الاستعمار الاستيطاني الإحلالي إلى الخطاب الأكاديمي والسياسي بفعل عدد من العوامل، كان من أهمها فشل المسار السياسي الذي اعتمد الصراع القومي بين الحركة الوطنية الفلسطينية والحركة الصهيونية، والذي همّش بدوره الجانب الكولونيالي الاستيطاني. وقد أدخل هذا المسار القضية الفلسطينية، بفعل عوامل عديدة من بينها تحولات في النظام الدولي والضعف العربي، إلى ما يبدو أنه طريقٌ مسدود أدنى عملياً إلى سقوط حل الدولتين. كما ساهم في استعادة هذا الإطار المفاهيمي تغوّل العملية الاستيطانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 بشكلٍ سافر، مستغلةً الوهن العربي والظروف الدولية، وشل القيادات والنخب السياسية الفلسطينية، إضافةً إلى سياسات التهويد في القدس المحتلة وداخل مناطق عام 1948.

وقد أعادت هذه التطوّرات في معادلة الصراع إلى واجهة البحث العلمي نموذج الاستعمار الاستيطاني، وتمييزه من الأشكال العديدة للاستعمار الكلاسيكي التي شهدتها العالم منذ منتصف القرن السادس عشر، وتمييزه كذلك من مفاهيم الاستعمار الجديد. فقد أصبح من السائد القول بأنّ الاستعمار الاستيطاني شكّل هجين من أشكال الاستعمار الحديث، ويتميز من الاستعمار الكلاسيكي بعدة خصائص، أهمها أنه يبدأ من أجل أن يستمر بواسطة سلب الأرض والتخلص من السكّان حيثما أمكن. ولذلك، فإن الطبيعة الاستثنائية لعلاقة المستوطنين بالسكّان الأصليين في حالته لها طابع خاص يقوم على فكرة المحو والاجتثاث، وهي تأخذ أشكالاً مختلفة (التهجير أو الترانسفير، والعزل، والأبارتهايد، والإبادة، وغير ذلك) ولا تقتصر على علاقات التبعية السياسية والاقتصادية فحسب. وفي هذا الصدد يصف كثير من الباحثين أنّ الاستعمار الاستيطاني بوصفه بنية (Structure) وليس حدثاً تاريخياً (Historical Event)، وأنه على هذا النحو يعتبر مَحْوَ الشعوب الأصلية، أو محو إرادتها السياسية، شرطاً مسبقاً لتأسيس دولة المشروع الاستيطاني وحياته السياسية والثقافية⁽¹⁾.

وقد راجت خلال العقدين الماضيين العديد من الأطر المفاهيمية والمعرفية التي توخّت فهم مآلات الكيانات الاستعمارية في ضوء دراسة نماذج استعمارية في مختلف القارات خاصة في القرن العشرين، ونتج من دراسة أنظمة الاستعمار المختلفة نماذج تحليلية تدرس دورة حياة الكيانات الاستعمارية-الاستيطانية وتفهم بقاءها أو اندثارها بمدى قدرتها على حسم العلاقة بالسكان الأصليين، إما بالتعايش معهم ومحاكاتهم (زيمبابوي) أو بالقضاء عليهم (أميركا) أو بتسوية تاريخية معهم (جنوب أفريقيا)، أو بتهجيرهم (فلسطين)، أو باندثار الاستعمار عبر الهزيمة العسكرية الشاملة (الجزائر). وبذلك، فإن العلاقة بين المستوطنين والسكّان الأصليين تأخذ أشكالاً متعددة بحسب خصوصية النظام ومدى نجاحه أو انكساره. ومن المهم أن نلاحظ في حالتنا أنّ المشروع الاستعماري الاستيطاني الذي نحن بصددده لا يزال في أوجه وأن مصيره لم يتحدد بعد.

غير أنّ لورينزو فيراسيني Lorenzo Veracini يميز بدوره بين المجتمع الاستيطاني (Settler Society) ودولة المستوطنين (Settler State)⁽²⁾، ويرى أنه ليس هنالك ما يمكن تسميته بدولة المستوطنين، لأن نجاح المستوطنين في إقامة دولة يحوّلهم إلى مواطنين ذوي حقوقٍ مواطنة في الدولة الجديدة. لذلك هو

1 Patrick Wolfe, "Settler Colonialism and the Elimination of the Native," *Journal of Genocide Research*, vol. 8, no. 4 (2006), pp. 387 - 409.

2 Lorenzo Veracini, *Settler Colonialism: A Theoretical Overview* (New York: Palgrave Macmillan, 2010).

يميز بين مجتمع المستوطنين في حدود الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، ودولة «إسرائيل» التي قامت بعد نكبة عام 1948. ويرى الكثيرون أنّ هذا التمييز إشكالي من الناحية النظرية وأن الفرق بين الوضعين هو في تجليات الاستعمار الاستيطاني وليس في جوهره. وبذلك، قد تكون المقارنة بين الحالتين مدخلاً لمساهمات نظرية حول الحالة الفلسطينية.

وعلى الرغم من أنّ العقدين الماضيين شهدا زيادةً ملحوظةً في الدراسات والكتابات التي عالجت موضوع الاستعمار الاستيطاني، فإنّ النموذج لا يزال يعاني بعض الإشكاليات النظرية والثغرات المنهجية، خاصة في التمييز بين الأشكال المختلفة من التوسع الكولونيالي وإيجاد المشترك والمختلف بين المشاريع الاستيطانية المختلفة. فلا تزال الأطر المفاهيمية التي تعالج نموذج الاستعمار الاستيطاني أسيرة حالات إمبريقية محدودة ومتباينة في سياقاتها الاجتماعية، وهو ما يبرر أهمية نقده مجددًا في ضوء تطوّر المقاربات النظرية. ولا شك في أنّ التطوّرات في سلوك إسرائيل الإحلالي في السنوات الأخيرة، وتزايد نفوذ المستوطنين في السياسة الإسرائيلية يجعلان من المهمّ إعادة النظر في النموذج التحليلي من جديد.

وهناك من يرى أنّ التشديد على البعد الاستيطاني-الكولونيالي في المشروع الصهيوني يعكس وجهة نظر أكاديمية غربية تنظر إلى الصهيونية بوصفها استثناءً لتجربة الحداثة السياسية التي تعبر عن نفسها في صورة الدولة القومية. ويرى هذا الاتجاه الذي يستفيد من أدبيات التابع (Subaltern Studies) أن القومية خارج حدود المركز الأوروبي هي استمرارية للمشروع الحداثي/ الاستعماري في استبطانها أدواته وعنفه وثقافته، وإنتاجه الشروط البنيوية لإقصاء «الآخر» وتهميشه⁽³⁾. ويعني ذلك أنّ تبني الإطار النظري للاستعمار الاستيطاني بوصفه نموذجًا قد يؤدي إلى أسطرة الحركة الصهيونية، وفصلها عن الفضاء الحداثي الأوروبي الذي تشكلت فيه.

العدد الخاص من مجلة عمران

بناءً على ما سبق، تطمح دورية عمران للعلوم الاجتماعية إلى تناول هذا الموضوع البحثي بمقاربات نقدية تستهدف الإطار النظري للاستعمار الاستيطاني الإحلالي وإشكاليات توظيفه لفهم حالة إسرائيل والمشروع الصهيوني، واعتماد المقارنة بتجارب استعمارية أخرى بهدف استجلاء آفاق نظرية جديدة. كما ترحب المجلة بدراسات الحالة (Case-Studies) التي تسعى إلى البحث في العنف المؤسسي الصهيوني ضد الفلسطينيين على مستوى المايكرو Micro من منطلقات نظرية مختلفة. كما ترحب المجلة خاصة بمدخلاتٍ لا تعتمد بالضرورة الخطاب الغربي وتستحضر خطاباً عربياً بديلاً لمقاربة الموضوع.

وتقترح عمران المحاور التالية للغوص في القضايا المثارة:

- صلاحية الإطار المفاهيمي للاستعمار الاستيطاني في فهم حالة إسرائيل، ومدى ملاءمة النموذج لدراسة الصراع بين الحركة الصهيونية والحركة الوطنية الفلسطينية.
- الحداثة والقومية والاستيطان في حالة إسرائيل.
- كيف تنهزم المشاريع الاستيطانية وهل تنتصر؟ (حالات مقارنة).

3 Homi Bhabha, "Of Mimicry and Man: The Ambivalence of Colonial Discourse," *October*, vol. 28 (1984), pp. 125-133; Robert J. C. Young, *Postcolonialism: An Historical Introduction* (Hoboken: Wiley, 2016).

- هل من الملائم اعتماد حل التقسيم في حالات الاستعمار الاستيطاني؟
 - ماذا يميّز المشروع الصهيوني كمشروع استعمار استيطاني؟ وماذا يجمعه بمشاريع أخرى؟
 - البعد الثقافي الديني في فهم مغاير للحالة الفلسطينية.
 - ماذا يميّز الفلسطينيين كسكان أصليين من السكان الأصليين في حالات أخرى وما يجمعهم؟
 - مقارنة أشكال المقاومة الفلسطينية مقارنةً بمشاريع استيطانية أخرى.
 - متى يُصبح المستوطن مواطنًا؟ وكيف ينطبق ذلك على الحالة الفلسطينية؟
 - دراسة بنية العنف الإسرائيلي بشقيه المادي والرمزي.
 - أثر المشروع الاستيطاني في البنى السوسولوجية للمستعمر والمستعمر (مثال لجانب محدد).
- تستقبل هيئة تحرير دورية **عمران** المقترحات البحثية في هذا الملف في موعدٍ أقصاه 30 تشرين الثاني/نوفمبر 2020، على أن يشمل المقترح إرسال نسخة من السيرة الذاتية، واستمارة المشاركة بمقترح بحثي تشمل عنوان البحث وإشكاليته الأساسية ومنهجيته المتّبعة، عبر البريد الإلكتروني إلى العنوان التالي:

omran@dohainstitute.org

تستقبل **عمران** البحوث الكاملة (6000 - 10000 كلمة) التي وافقت على مقترحاتها متقيدةً بمواصفات البحث الشكلية والموضوعية التي يعتمدها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في موعدٍ أقصاه 30 حزيران/يونيو 2021. كما تخضع البحوث المنجزة كافةً للتحكيم، ولا تعني الموافقة على المقترح البحثي موافقةً تلقائية على مشاركة البحث في حال لم يقرّ التحكيم العلمي الورقة البحثية كاملةً بعد إنجازها.